# النظرية
# الإثنوميتودولوجية

## 1- الرواد:

**هارلدجارفينكل:** عالم اجتماع امريكي، وهو احد تلاميذ بارسونز، كما تأثر بألفريد شوتس، وكانت حصيلة دراسته على يد بارسونز والآراء المتبادلة مع ألفريد شوتس الخلفية التي انتهى بها لصياغة الإثنوميتولوجيا فهو المؤسس لها.

من مؤلفاته دراسات في الإثنوميتودولوجيا 1967.

- **أرول سيكوريل** وهو يفضل علم الاجتماع المعرفي عن الإثنوميتودولوجيا
- **إيرفينككوفمان ( 192-1983)** عالم اجتماع امريكي

**من مؤلفاته** : الوصم 1964. الإعلانات الجنسية 1970

- **دون زيمرمان من مؤلفاته:** الاستخدامات العلمية للدور
- **لورانس ويدور**

**أكينسون**

**هيوج ميهان**

**هوستون وود (مراد زعيمي، مرجع سابق، ص 1).**

## 2- النشأة والتطور:

تتكون كلمة الإثنوميثودولوجي من مقطعين: إثنو بمعنى جماعة أو سلالة (قومية أو لغوية أو عرقية)، وميثودولوجي وتعني منهجا، ويكون المقطعان مصطلح إثنوميتودولوجي ، الذي صاغه هارولد جارفينكل عام 1967. كان جارفينكل قد نشر في الستينات مجموعة من المقالات جمعها في كتاب أصدره في عام 1967 بعنوان " دراسات في الإثنوميثودولوجي" استطاع فيه أن يستفيد من فينومينولوجية ألفرد شوتز في صياغة اتجاه جديد أو بديل جديد لعلم الاجتماع في أمريكا. لقد أخذ جارفينكل من ألفرد شوتز اهتمامه بالحياة اليومية أو العالم العادي ، كما يظهر من خلال تصورات الأفراد واتجاهاتهم الطبيعية. وألا يعني ذلك أن جارفينكل قد سار مع شوتز إلى نهاية الخط، فقد ذهب إلى أن شوتز قد مهد الطريق في هذا المجال عندما وضع أسس علم اجتماع يدرس الحياة اليومية، غير أن برمنامجه النظري يخلو من أية إشارة أمبريقية ولم يستطيع حل المشكلات المنهجية والواقعية المتضمنة في البحث السوسيولوجي الإمبريقيللإتجاه الطبيعي، ولم يستطيع الإفادة من علم الاجتماع الفينومينولوجي من دراسة المسائل الأساسية في علم الاجتماع التقليدي .

وهكذا، كانت المهمة الأساسية أمام الدراسات الإثنوميثودولوجية تتمثل في الكشف عن الكيفية التي نصنع بها حسا بعالمنا الاجتماعي، وكيف نبنيه، ونعمل على بنائه بشكل مستمر، وكيف نعمل بشكل فعال لجعله يجري بنعومة، فنحن دائما ننظر الى عالمنا ونتصرف فيه، ونفسره لنفرض النظام عليه، ولكن الحقيقة التي لم يتبعها جارفنكل أو حتى تلاميذه، ولم تشكل بالنسبة لهم قضية مركزية هي: أن ما قد ينشغل الأفراد ببناءه من خلال علمهم قد يمثل ضربا من الايديولوجيا أو الوعي الزائف، إن بين الحكام والمحكومين، معايير وقيم، يشترك كل منهما في إدارة إنتاجها. ومن هنا، فإن التساؤلات المركزية التي ابتعدت الإثنوميثولوجي عن الإجابة عليها هي: كيف ينجز الأفراد مواقف اللاتساوق في القوة؟ وكيف ينجزون أفعال الخضوع، والرضا بالاستغلال أو الثورة عليه؟ ربما يمكن للإثنومثودولوجي القيام بهذه المهمة ولكنها لم تفعل، وانشغلت بدلا من ذلك بالمحادثة والتبادلات الكلامية.

**3-فرضياتها:**

هناك مجموعة من الافتراضات التي طرحها جارفينكلوهي :

- إفتراض وجود نظام أخلاقي ألا وهو النظام الاجتماعي الذي يقوم عليه مجموعة من القيم والمعايير، ويعتبر النظام الاخلاقي أساس التنظيم الاجتماعي وأحد الموضوعات الرئيسية التي يجب أن يهتم بها علم الاجتماع.

- ضرورة أن يتقبل الأعضاء أو الأفراد في المجتمع باعتبارهم المشاركين في الحياة اليومية لأنشطته المختلفة، والنظام الاجتماعي باعتبارهمصدرا للحقيقة الاجتماعية.

- ترتبط جميع التنظيمات في المجتمع بالنظام الأخلاقي، كما أن يمثل الأساس التفسيري للحقيقة الاجتماعية.

- ضرورة أن يقوم الأفراد في المجتمع بتوجيهم أفعالهم وسلوكهم نحو متطلبات النظام الأخلاقي، حتى يمكن فهم حصيلة أنشطتهم أيضا.

- تتم عملية التفسير العقلاني مرتبطة بفهم مجال السلوك البشري، ومن ثم فإن كل بناء اجتماعي قادر على تنظيم ذاته ومن خلال المواقف الاجتماعية التي يطفي عليها الطابع العقلاني.

- يتميز التنظيم الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع بالتغير المستمر، ولاسيما أن كل منهم يتحقق عن طريق عملية التفاعل الدينامية.

- تعتبر العملية التنظيمية أساس وجوهر الحقيقة الاجتماعية والتي تم توضيحها بواسطة علم الاجتماع في صورتة التقليدية أو المعاصرة.

- إن عملية التعقل للأفعال والسلوكيات والمواقف تتكون من مجموعة من العناصرالمتميزة والتصنيف والمقارنة والدقة مع ضرورة البحث عن الدلائل وتحليل النتائج، وقواعد الإجراءات والاختيارات وغير ذلك من وسائل وميكانيزمات متعددة حتى يمكن فهم عملية العقلانية بصورة عامة كم تحدث في النشاط اليومي أو الحياتي اجتماعي.

**4 - هارولدجارفنكل والإطار المفاهيمي للإثنوميتودولوجيا:**

حاول جارفينكل ومن خلال كتابه "دراسات في الأثنوميثولوجيا" الذي أصدره عام 1967، والذي بين من خلاله أهم الأسس العلمية التي تبنى عليها النظرية الأثنوميثولوجيا، كبديل للنظريات الكلاسيكية، بإعتبار أن المهمة الأساسية للدراسات الأثنوميثولوجيا، هو تحليل أنشطة الحياة اليومية وتفسيرها تفسيرا معمقا وذلك بالكشف عن المعاني الخفية وراء هذه الانشطة، وباعتبار أن هذه الانشطة تعبر عن مجموعة من الأحاسيس المشتركة بين المشاركين في الموقف، والتي بفعلها يتحقق العالم الاجتماعي المشترك. وسعى جارفينكل في دراساته إلى بيان كيف تتيح المفاهيم النظرية التي قدمها شوتز في أعماله، إمكانية البحث السوسيولوجي لعالم الحياة اليومية، وفي الأجزاء التالية سنحاول أن نشرح المفاهيم الأساسية بطريقة مبسطة قدر الإمكان.

4-1 - تنظيم الأنشطة من الداخل:

الفكرة الرئيسية في المنظور الأثنوميثودولوجي هي الإصرار على معالجة الوقائع والحقائق الاجتماعية بحسبانها إنجازات وتجليات بارعة للتفاعلات الاجتماعية والعلاقات الشخصية المتبادلة. فهذه التفاعلات تتألف من اتصالات ذات معنى بين الأشخاص كما تتضمن نشاطا تأويلا وتفسيريا مشتركا بينهم، ويذهب جارفينكل إلى أنه يجب على علماء الاجتماع دراسة وبحث الطابع النسقي والمنتظم للأنشطة الاجتماعية التي تصدر عن البشر الممارسين لهذه الأنشطة. ويذهب جرافينكل كل النشاطات الإنسانية الاجتماعية بداية من الأنشطة الدنيوية للحياة الاجتماعية اليومية ووصولا إلى الأعمال الملغزم والأكثر إبهاما وغموضا في الممارسات العلمية والدينية. فهذه الأفعال والانشطة جميعها يمكن فهمها واستيعابها طالما أنها تتسم بكونها ذات طابع نسقي ومنظم. وبما أن الأمر على هذا النحو، فإن هذه الأنشطة والأفعال لايقوم الممارسون لها بأدائها على نحو ميكانيكي وآلي وفق مجموعة من القواعد والمقتضيات الموضوعة سلفا، وإنما عوضا عن ذلك يقوم المشاركون في هذه الأنشطة والأفعال، أو الأعضاء، كما يطلق عليهم جارفينكل، بالمشاركة في فعاليات عالمهم الاجتماعي المشترك بالنظر إلى أن هذا العالم يعد حقيقة عامة وواقعة ومألوفة لهم جميعا، وأنهم يملكون خبرات مشتركة بشأن هذا العالم، ومن ثم يتبادلون المعاني المرتبطة بإدراك وفهم هذا العالم

4-2 - مناهج أعضاء المجتمع وأرائهم:

يفترض جارفينكل أن تشكيل الذات و تنظيمها للنشاطات يعد إنجازا منهجيا من جانب أعضاء المجتمع. فالأحداث التي تقع في حياتنا اليومية المعاشةتصبح مفهومة ومعقولة لنا كأعضاء في المجتمع بفضل المناهج و الطرائق التي يتم من خلالها تشكيل هذه الأحداث و إدراكها في آن واحد. فنحن نشكل أنشاطتنا بنفس الطريق االتيتتيح للآخرين معرفة و إدراك طبيعة هذه النشاطات كالتذمر، و الشكوى ، وإلقاء المحاضرة ، و المزاح ...، مثلا، و على نحو يجعلها متاحة للأخرين من حولنا وعبر مناهج وطرق بعينها تجعلهم يفهمون طبيعتها دون أية مشكلات وبحيث تصبح هذه النشاطات واضحة لكل المشاركين في الموقف...

4-3- العضوية والاستخدام الضروري للحس العام والمشترك:

يتضمن عرضنا الموجز والسالف لأفكار جارفينكل، حتى الأن عدة إشارات المفهوم العضو، وقد استخدم جارفينكل مفهوم العضو بدلا من مفهوم الفاعل الذي استخدمه الفريد شوتز وعلى نطاق واسع ويشير مفهوم العضو لدى جارفينكل إلى عضوية الجماعة، والذي يتضمن حيازة وامتلاك أعضاء هذه الجماعة لمعرفة مشتركة بشأن العالم المحيط بهم. ويؤكد جارفينكل، استنادا إلى آراء شوتز، أن الاعضاء يقومون بنشاطاتهم وهم يستخدمون معرفتهم بالحس العام والمشترك، ويفترض أيضا، أنه عند حدوث أي

مقابلة أو لقاء غير متوقع بينهم، فإن هؤلاء الأعضاء يتعاملون مع بعضهم البعض بحسبانهم أعضاء تجمعهم عضوية جماعية يتقاسمونها فيما بينهم وبين الآخرون من حولهم.

( على سبيل المثال، الزبون، رجل الشرطة، الغريب، الضيف...) وهم يتعاملون مع بعض عناصر ومكونات المعرفة كأشياء يعرفونها ويشاركهم الآخرون من حولهم في معرفة هذه الأشياء. ويتمحور نشاط هذه العضوية العالمية حول خبرة العضو بالعالم الاجتماعي كواقع حقيقي وموضوعي يخبره ويراه، كل فرد بنفس الطريقة، وعند حدوث أي مقابلة أو لقاء غير متوقع فإنه يصبح بمقدور الأعضاء أن يتعاملوا مع أنفسهم ومع الآخرين من حولهم بنفس الطريقة ومن بعض الوجوه أو النواحي، وعبر التعامل مع الآخرين من حولهم بنفس الطريقة التي نتعامل بها مع أنفسنا، يشكل الأعضاء عالمهم الاجتماعي كعالم حقيقي وواقعي موجود ويمكن لكل فرد أن يدركه.

**5- النظريةالإثنوميتودولوجياوسوسيولوجيا التربية:**

إذا كانت المقاربات السابقة تتناول الوقائع التربوية على شكل علاقات أو ترابطات إحصائية كالعلاقة - مثلا- بين عدم المساواة والكفاءات المدرسية حسب الجنس والمستوى الاجتماعي معتبرة أن هذه العوامل كفيلة بتفسير عدم المساواة، فإن الدراسات الإثنومنهجية في التربية، على العكس، تقوم بوصف الممارسات التي من خلالها يقوم الفاعلون في النظام التربوي (معلمون، متعلمون، آباء، مقررون...إلخ) بخلق وإنشاء وتشكيل هذه الظواهر.إنها تدرس الظاهرة وهي تتكون وتتشكل (مثلا ظاهرة اللامساواة)، عكس علماء اجتماع إعادة الإنتاج الذين يدرسون الظاهرة بعد وقوعها ويبحثون عن أسبابها." .

وفي مجال سوسيولوجيا التربية تقتصر على دراسة تفاعلات الفاعلين معتمدة فقط على التحليل المصغر مما يجعلها علم اجتماع بدون مجتمع. والواقع كما يقولو كولون، إن الإثنومنهجيةلاتنفي وجود البنية الاجتماعية ولا تحصر دراستها في مستوى تفاعلات الفاعلين، المدرسيين وإنما تركز على عدم دراسة البنية معزولة عن الأنشطة التي تساهم في بناء البنية. إنها تبين كيف أن الوقائع التربوية الموضوعية تنبثق عن الأنشطة. إنها تكشف وتعري الإجراءات التي بواسطتها يخفي المجتمع عن أفراده أنشطة التنظيم ويقودهم للأعتراف بها كأشياء محددة ومستقلة. إنها فتحت العلبة السوداء للمدرسة وجعلت الكل يرى كيف تتكون اللامساواة.

بتركيزهم على دراسة البيئة المدرسة، وبذلك حدث تحول كبير في مناهج البحث السوسيوتربوي، الذي تأثر بأسلوب البحث الأنثربولوجي، الذي يقوم على المعايشة مع الجماعات الصغيرة لمدة طويلة، وبالاعتماد على أدوات بحثية كالمقابلة والملاحظة بالمشاركة.

وقد تعرض هذا الإتجاه بتركيزه على النظم المصغرة لعديد من الانتقادات من داخل المدرسة النقدية ذاتها من حيث إن أنصار علم اجتماع التربية الجديد بعد عزلهم للمواقف والمناهج والمعارف ودراستها بشكل مستقل، باعتبارها تمثل نفسها، يسارعون مرة أخرى إلى مواضعتها في داخل البنى الاجتماعية الكبيرة.

كما يرى ويكسلر أيضا أنه على الرغم من استثمار أنصار علم التربية الجديد للأساس الاجتماعي لعلم اجتماع التربية القديم وظيفيا كان أم ماركسيا، إلا أنهم تجاهلوا تاريخية الظاهرات التربوية. ومن ثم فشلوا في اكتشاف العلاقة العلمية والعقلية بين ما قاموا به من عمل وبين التطورات التاريخية المحيطة

به، فعلم اجتماع التربية الجديد – من هذا المنظور- يشترك مع المعرفة الاجتماعية الأكاديمية التقليدية في ادعاء الاستقلالية الاجتماعية الثقافية .

**6-تقييم النظرية:**

كانت المهمة الاساسية أمام الدراسات الإثنوميثودوزلوجية تتمثل في الكشف عن الكيفية التي نصنع بها حسا بعالمنا الاجتماعي، وكيف نبنيه، ونعمل على بنائه بشكل مستمر، وكيف نعمل بشكل فعال لجعله يجري بنعومة

فنحن دائما ننظر إلى عالمنا، ونتصرف فيه، ونفسره لنفرض النظام عليه، ولكن الحقيقة التي لم يتابعها جارفنكل أو حتى تلاميذه، ولم تشكل بالنسبة لهم قضية مركزية هي: أن ما قد ينشغل الأفراد ببناءه من خلال عالمهم قد يمثل ضربا من الأيديولوجيا أو الوعي الزائف. إن بين الحكام والمحكومين، معايير وقيم، يشترك كل منهما في إدارة إنتاجها. ومن هنا، فإن التساؤلات لمركزية التي ابتعدت الإثنومثودولوجي القيام بهذه المهمة ولكنها لم تفعل، وانشغلت بدلا من ذلك بالمحادثة والتبادلات الكلامية.

ومن جانب أخر تذهب " زينب شاهين" إلى تأكيد الطابع الراديكالي للإتجاهالإثنوميثودلوجي والذي يكمن في تركيزه على الطريقة التي يشكل بها الأفراد واقعهم وفي توضيحه بأن العالم الاجتماعي ليس عالما جامدا. وما تتضمنه وجهة النظر هذه هو أن الإنسان ليس مضطرا لقبول دوره المفروض عليه في الحياة بشكل خانع فإذا بدت الأبنية الاجتماعية صلبة وغير متغيرة فهي كذلك لأن الأفراد يعتقدون فيها، بينما إذا رفضوا التسليم بما يسلم به الآخرون فسيمكن إعادة تشكيل الواقع من خلال إعادة تعريفه المناهج التقليدية.

كما يوجه مصطفى خلف عبد الجواد ثلاث انتقادات للمنهجية الشعبية(مصطفى خلف عبد الجواد، مرجع سابق):

**أولهما**: أن أنصار المنهجية الشعبية- وهم يحصرون أنفسهم في وصف معاني الفاعلين الاجتماعيين دون تفسيرها – يغمضون الطرف عن سؤال مهم، وهو: لماذا يحاول أعضاء جماعة ثقافية معينة تبرير الطريقة والتي يتصرفون بها؟. وسوف يتضح من النقطة التالية أن هذا السؤال يصبح أكثر إلحاحا عندما يوضع في سياق مقارن.

**وثاني** هذه الانتقادات أنه من المشكوك فيه أن تكون المنهجية الشعبية مبدعة كما يدعي أنصارها. فهي لاتختلف عن الانثربولوجيا الثقافية الوصفية التي تولى عنايتها بملاحظة وتفسير الحياة الاجتماعية في جماعة ثقافية معينة. ومن الحتمي أن تفرض الانثربولوجيا الثقافية المقارنة هذا السؤال : لماذا تتصرف الجماعات الثقافية بطريقة مختلفة؟ وهو سؤال كلاسيكي في علم الاجتماع. ولايحول أنصار المنهجية الشعبية الإجابة عن هذا السؤاب، لأنه يتضمن تفسيرات لايشترك فيها أعضاء الجماعات الثقافية موضوع الدراسة.

**وثالث** هذه الانتقادات أنه على الرغم من إلتزام منظري المنهجية الشعبية بوصف الحياة الاجتماعية من خلال المعاني الذاتية، فإن مفاهيم مثل التصنيف والمعاني المشتركة تتشابه مع المفاهيم الذاتية، فإن مفاهيم مثل التصنيف والمعاني المشتركة تتشابه مع المفاهيم البنائية، المعايير والقيم والمعتقدات. ومن الناحية الافتراضية يعد التأثير الخارجي للتنشئة الاجتماعية جزءا من عملية يقبل بواسطتها الأفراد بداهة التصنيفات والمعاني المشتركة وهذه قضية أخرى أخفق منظرو المنهجية الشعبية في التصدي لدراستها